المحاضر السابعة : مراحل تطور الإتصال

لقد مر الاتصال تاريخيا بعدة مراحل قبل أن يصل الى ماهو عليه ويطلق على هذه المراحل "بعصر الانتقالات" والتي تعرف أيضا بنظرية الانتقالات وهي النظرية التي تقسم مراحل تطور الاتصال كالتالي:

المرحلة الأولى : عصر الإشارات والعلامات

إذ تفترض معظم التخمينات أن البشر كانوا يعيشون فى تجمعات صغيرة مثل الحيوانات منذ ملايين السنين، وبالتأكيد كان في تلك الفترة أيضا اتصال بين المجموعات والبشر بعضهم البعض ، وإلا ما انتقلت خبراتهم من جيل إلى جيل ، والاحتمال الارجح انهم مارسوا الاتصال عن طريق الأصوات (الزمجرة ، الهمهمة ،الصراخ ....) بالإضافة إلى لغة الجسد وإشارات الأيدى والأرجل.

المرحلة الثانية : عصر التخاطب واللغة

حيث يرجح ظهور اللغة خلال 35 – 40 ألف سنة مضت بين مخلوقات تشبه الجنس البشرى الحالى يطلق عليها " إنسان الكرومانيون " الذى عثر على بقاياه فى كهف كرومانيون بفرنسا ، مما سمح بابتكار الكثير من احتياجاته فى هذا الوقت ، وعاش كمزارع وروض الحيوانات واستأنسها خلال تلك الفترة ، وهنا تبدو اهمية اللغة والاتصال فى الارتقاء بالانسان.

المرحلة الثالثة : عصر الكتابة

فقد استغرق الانسان ملايين السنيين حتى توصل إلى القدرة على استخدام اللغة ، واستغرق الأمر عدة قرون حتى أصبحت الكتابة إحدى حقائق الحياة الإنسانية ومع ظهور الكتابة ظهر عصر جديد من الاتصال المباشر بين البشر من مراسلين وحمل

الرسائل المكتوبة من مكان الى اخر سواء بالأسلوب المباشر او الكتابة ثم تطور هذا الأسلوب في الإرسال عبر الحمام الزاجل فقد اكتشف الإنسان الكتابة ليحفظ تاريخ الإنسانية والتراث الثقافي حيث اصبح بمثابة وسيلة اتصال محدودة النطاق وقد مررت الكتابة بمراحل هي :

- **الكتابة التصويرية:** حيث كانت الكتابة التصويرية هي الخطوة الأولى في تطور الكتابة ، ولكنها لم تبدأ إلا بعد فترة من استقرار نظام الزراعة فقد اكتشف المصريون القدماء أن هناك نجم ما يتوافق مع ظهوره مع فترة الفيضان فجعلهم ذلك يطورون نظاما لتحديد الشهور والعام الشمسي وكانت الكتابة التصويرية تستخدم بشكل رئيسي في تزيين المقابر والمعابد والآثار وبعد زيادة انتشار الكتابة التصويرية وزيادة تبسيطها خرج من باطنها أسلوب الكتابة الهيروغليفية، ومنذ نحو ستة آلاف عام بدأت تظهر النقوش المعبرة عن معاني وقد حدث ذلك في مصر ومملكة ما بين النهرين ، وكانت هذه النقوش عبارة عن صور بدائية مرسومة او محفورة على الجدران والأسطح، وتم وضع هذه الرموز في صيغ اصطلاحية متفق عليها .

- **الكتابة على أساس النطق :** طور السومريون(العراقيون) نمطا آخر من الكتابة التي تعتمد على الرموز التي تعكس اصواتا محددة ففي حوالي عام 1700 قبل الميلاد توصل السومريون الى فكرة ان يعبر كل رمز صغير عن صوت محدد بدلا من أن يعبر عن فكرة أو شيء ، وكانت قيمة هذا الابتكار هائلة فبدلا من آلاف الرموز المنفصلة اصبح المطلوب عدد أقل من الرموز للتعبير عن أصوات المقاطع التي تتكون منها الكلمات و كان ذلك هو الخطوة الأولى في تطوير الكتابة الصوتية

- **الكتابة الألفبائية :** ظهرت الكتابة الألفبائية التي تعتمد على الحروف منذ حوالي 700 عام قبل الميلاد وانتشرت بسرعة نسبية في أنحاء العالم القديم ، وبعد عدة قرون وصلت الى بلاد الاغريق وتعتمد الكتابة الألفبائية على استخدام رموز الحروف للتعبير عن الأصوات الساكنة والمتحركة بدلا من المقاطع الصوتية، وكان ذلك تقدما كبيرا لأن عدد الحروف قد نقص كثيرا إلى أقل من 100 رمز ، واليوم على سبيل المثال لدينا 26 حرفا هجائيا في اللغة الإنجليزية و 28 حرفا في اللغة العربية.

المرحلة الرابعة : عصر الطباعة

تعد الطباعة أحد أبرز الابتكارات البشرية فقد عرف الصينيون الطباعة أو النسخ بالألواح الخشبية المحفورة قبل الميلاد بحوالي 1600 سنة فقد استخدم الصينيون هذه الطريقة وطبع بها كتاب "الماسة سوترا" أو محاورات بوذا وهو أول كتاب في العالم حوالي سنة 800 ميلادية وكان ذلك قبل ظهور الطباعة في الدول الأوروبية بمئات السنين ، وانتقلت هذه الطريقة إلى أوروبا خلال القرن الرابع عشر ميلادي حيث يرجع الفضل الى يوحنا جوتنبرج والذي كان صائغا في مدينة ماينز بألمانيا في التوصل إلى طريقة فريدة في الطبع فبعد تجارب عديدة طور جوتنبرج فكره عمل ختم من الصلب لكل حرف بحيث يكون الحرف محفورا بدقة وبطريقة معينة ، وبعد ذلك قام بطبع صورة هذا الحرف عن طريق الضغط على مربع من معدن أكثر ليونة مثل النحاس الأصفر ، وكانت هذه الفكرة في منتصف القرن الخامس عشر في ستراسبورغ بفرنسا سنة 1436 م ، ثم انتقلت الى ايطاليا ، سويسرا ، بريطانيا ، بلجيكا ،أوروبا الوسطى ، بولندا ، روسيا ، أمريكا ، وكان الإنجيل أول كتاب يطبع عام 1455 م ، ثم تطورت الطباعة فعرفت طابعات الأعمدة والطابعات بالتصوير الجاف، الطابعة التنقيطية، الدائرية، السطرية، الليزرية ...الخ .

المرحلة الخامسة : عصر الاتصال الجماهيري

وذلك مع ظهور الصحافة الجماهيرية ، بدأت حينئذ سرعة نشاط الاتصال البشرى فى الزيادة المطردة ، كما شهد القرن التاسع عشر معالم ثورة الاتصال الجماهيري بالتقدم الهائل الذي حققته الصحافة مستفيدة من تطور مختلف التقنيات التي ساعدتها على التطور وزيادة التنافس فيما بينها، فظهر التلغراف في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما ظهرت الإذاعة ثم التلفزيون ثم الأقمار الصناعية والتقنية الرقمية التي ترسل بواسطتها صفحات الصحيفة والصور لتطبع في أكثر من مكان في العالم ثم الاعتماد على المواقع الالكترونية.

المرحلة السادسة :عصر الاتصال التفاعلى

حيث شهد النصف الثانى من القرن العشرين من اشكال تكنولوجيا الاتصال ما يتضاءل أمامه كل ما تحقق فى عدة قرون سابقة ولعل أبرز مظاهر تلك التكنولوجيا ذلك الاندماج الذى حدث بين تكنولوجيا الحاسبات الالكترونية وتكنولوجيا الأقمار الصناعية .

مداخل إلى وسائل الإعلام والاتصال - د.هالة طارق